

هذه بعض مشاكل تمنعنا من التسليم بهذا الرأي دون استثناء الى ان تنجلي لنا الحقيقة. ولعل القول بان هذه الصورة من معجزاته تعالى اصح وصدق كما يرتأي كثيرون من الكاثوليك والله على كل شيء قدير

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للأب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٣ آثار لبنان: منافعها واسماؤها

منافع انهار لبنان جغرافياً واقتصادياً

ذكرنا غير مرة غنى لبنان بنباتات المياه وما يتركب على ذلك من القوائد الهدروغرافية فنقول الآن ان من اعتبر هذه الجبل ورأى هيته وموقعه فهم ان قربه من البحر لا يسمح للانهار الجارية منه ان تتسع أحواضها اتساعاً كبيراً. والاحرى ان يقال ان اغلب انهار لبنان سيول لا تتجاوز مسافة سيرها بضعة كيلومترات وهي تنحدر من مشارف الجبل وتندفع دفعة واحدة الى البحر. وليس بين هذه الانهار نهر واحد يمكن زورقاً ان يجري فيه لكثرة انحراف هذه الانهار وما يتخللها من الصخور في سيرها. ونحن لا نذكر في هذا الباب من انهار لبنان الا ما لم ينضب ماؤه في فصل القيظ مباشرة من الشمال الى الجنوب (١). وكذلك ضربنا صفحاً عن بعض التفاصيل الجغرافية التي تصلح لاحداث المدارس ليس في ذكرها كبير اسر.

١ النهر البارد شمالي طرابلس على مسافة بضعة كيلومترات منها. وهو الفاصل بين لبنان وجبل عكار = ٢ نهر ابي علي وهو المعروف بنهر قاديشا (٢ = ٣ نهر ابراهيم = ٤ نهر الكلب = ٥ نهر بيروت = ٦ نهر الدامور

وليس لهذه الانهار كلها من الجدوى سوى انها تسقي بعض السهول الساحلية

(١) ان ضرر العاصي يستمد أكثر مياهه من لبنان لكن سيله خارج عنه
(٢) لا نذكر نهر البوز قرب البترون لأن ماءه ينقطع في فصل الصيف

فتخصب تربتها في مجاريا المختلفة الطول. وربما كان هذا الحصب الناجم عن مياهها بليثاً. ولر اراد اهل بلادنا لانتمعوا من هذه المياه لغاية أخرى وذلك بان يجعلوها كحرك لادوات كهربائية يتخذونها لماملهم ولذلك سئى البعض قوة المياه في تحريكها بالفحم الايض يريدون انبا تقوم مقام البخار ومراقده الفحم الحجري. ولأ كان مهبط هذه المياه شديداً وكيثها وافرة لا غرو أن ينجم عنها قوة تناسب خيراً لمجارية عديدة كافية لتحريك ادوات ضخمة

على اننا نرى في مجاري هذه الانهار خللاً فان مصبها يتسع اتساعاً كبيراً وذلك لما تأتي به المياه من التراب الجروف ولما يدفعه البحر الى الساحل من الرمل فتكومت هذه المراد في وجه النهر بحيث لا تقوى مياهه على خرقها فتدقق جوانبه وتسيل المياه ذات اليمين وذات الشمال على مسافة واسعة. وربما استنعت هذه المياه فحدث عنها حثيات ملارئة خيثة. وهذا الانحراف في مجاري الانهار قد لحظه العلماء في البحار التي يضعف فيها المد والجزر. لكن هذا الحلل سهل استدراكه بان يُجفر للنهر ميل عند مصبه. وكذلك تُنصب اشجار الادكابتوس على ضفافه لتزول بها وخامة الهراء.

وفي مقالنا السابقة بينا ان النهرين البارد واما علي بما سباه من التربة من اعالي لبنان طناً جين عكأر وكراً سهل طرابلس المروف بجودة مزدوعاته. ولعل نهر بيروت اتي بما هو اغرب فعلاً منها

فكل يعرف ان مدينة بيروت مبنية على شبه جزيرة يتصل بها البحر شمالاً وغرباً وجنوباً غربياً. وقد ارتأى بعض العلماء ان مركزها انما كان في سالف الزمان جزيرة تحدد بها المياه من كل جهاتها (٦) فصارت مياه نهر بيروت والجدال المجاورة له كوادي غدير ووادي شوفات تأتيها بالطين والتربة حتى ملأت البرغاص الذي كان في جهة بيروت الجنوبية الشرقية بينما كانت الرياح الغربية تحمل اليها رمالها فاصبحت بيروت متصلة بالبر وجرى لها ما جرى لمدينة صرد لما ابنتي لها اسكندر ذر القرنين سداً عظيماً وصل بينها وبين البر قراكت الرمال على هذا السد فصارت شبه جزيرة بعد ان كانت المياه تكتنفها من كل اطرافها. ولا عجب فان انتشار الرمل على سواحل سورية امر ظاهر تقوى الرمل يتقدم دون انقطاع. ومما شهد على صحته الثقة ان معدل امتداد الرمل

في كل سنة بين مدينتي غزة وباقا يبلغ متراً على التقريب هذا وان اهل بيروت كانوا يتخذون قديماً ألواء الرمل سكناً لهم ويزرعون فيها المزارع لان التربة التي يغطيها هذا الرمل طيبة دسمة. والدليل على سكنى الاهلين فيها ما يجده الحاقرون من الحرف وقطع الزجاج القديم والمعادن والنواويس. والرمل قد نشر عليها كلها رداءه وهو لا يزال يجري الى الامام. ومن يلاحظ حركة المتواصه يتأكد بانة في مدة ربع قرن قد اخفى عن العيان املاكا ممتعة ليمض الوجهاء فالتسها. ومنذ عهد قريب قد وجد البعض آثار بلدة توارت تحت ألواء الرمل. ونما أثبتة الشاعر نونس (١) عن الطريق التي يسير فيها السائر عند خروجه من بيروت مينياً صيداء. أنها «رملية تطلها الاشجار ودوالي الكروم» على ان الشاعر لم يذكر السلال الرملية التي تتخللها في يومنا هذا فتجري في وسطها وذلك دليل على ان الرمل لم يسط عليها بعد. ومن الثابت التردد ان العوامل الطبيعية لا تزال تدرى هذه الرمال فتجرف مياه البحر وتنسفها الرياح حتى تكاد ترى حركتها رأي العين فاقولك بمسماها على كدر الادمار لاسياً اذا اضفت الى هذه العوامل ظواهر أخر خارقة الصادة كالزلازل والاهتزازات الارضية التي ربما رفعت بمحض الارض وميل الاودية. وفي سواحل فينيقية من آثار هذه الزلازل ما هو مشهور (راجع مقالتينا عن الزلازل في المشرق ١: ٣٠٣ و١٧٠: ٢)

ونما يشهد على ما احاب بيروت ونواحيها من الطوارئ الجيولوجية ان هذه المدينة كانت في سالف الزمان مزدانة بملحة جزائر لا ترى اليوم منها اثرأ. فان الشاعر البيروني نونس (٢) اشار اليها في جملة وصفه لبيروت فدعا هذه المدينة «الجميلة الجزائر εἰρησος» وهي لمصري شهادة حسنة الى بها شاهد عين سكنى بيروت ردها من الدهر لم يفت شي. من احوالنا. وقد جاء في خارطة لاتيئة يرتقي عهدها الى القرن الثاني عشر رسم جزيرتين متوسطتين في الكبر قريبتين من بيروت (٣). وكذلك ورد في تواريخ الصليبين ان الرهبان المروفين باسم پريمونتري (Prémontrés) كانوا

(١) راجع كتاب شهره ٤٦ - ٤٥، v. 41, ch. 41, Dionysiaques,

(٢) راجع الكتاب السابق ذكره. (Chant 41, v. 15)

(٣) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV, XVIII)

يسكنون ديراً موقعه في جزيرة على مقربة من بيروت (١٠٠١) وفي هذه الشواهد ما يدل على ان هذه الجزر غير الصخور الثلاثة او الاربعه التي زارها اليوم عند راس بيروت او عند مصب نهرها

ولكن متى توارت هذه الجزائر؟ ليس لنا في ذلك نص صريح ومن المرجح انها انخفضت في الزلزال الذي ذكره المقرزي في تاريخ المالك (٢) في تاريخ سنة ٥٦٠ (١٢٦١ م) حيث قال ان سبع جزائر بين عكة وطرابلس غاصت في ليج البحر. وقوله هذا يطابق الآثار التاريخية التي لم تُذكر فيما نعلم الجزائر المجاورة لبيروت بعد القرن الثالث عشر والنهران الاخيران اللذان يجريان في جنوب لبنان هما الارثي وهو نهر صيدا. ثم الليطاني الذي يحد لبنان في جنوبيه وهو نهر صور. ولكلا النهرين علاقة مع المدينة التي يجاورها وقد اغشاها بناقصه الجملة الاقتصادية. ونهر الارثي يجري في منطف لبنان الغربي ولا يتجاوز طوله ٤٥ كيلومتراً اما الليطاني فينفذ في وسط هذه السلسلة ويتخللها. ومنبعه في البقاع بين الجبلين الغربي والشرقي وطول مجراه ١٥٠ كيلومتراً. وخطره عظيم من حيث الزراعة والاقتصاد لانه ليس فقط يفتح طريقاً في خلال الجبل كما يفعل الارثي ولكن ايضاً لان هذه الطريق توصل ساحل مدينة صور بهول فيحاء وبطائح غناء. كالبقاع وغوطة دمشق ووادي الماصي. ولا غرو ان تجار صور من الفينيقيين قدروا هذه المنافع قدرها ونهجوا هذه الطريق رغبة في الارباح البائلة اما وادي الارثي فهو دون وادي الليطاني شأناً وخطراً الا انه اغنى منه واخصب وفي سيره على ضفتيه مسالك وطرق تفضي الى البقاع الى عدة قرى كان الاهلون يقضون فيها فصل الصيف ويتاجرون ببلاتها كما يفعل اهل صيدا. في ايامنا في القرى الواقعة قرب البازوك وجنوبي جزين

ولولا الارثي والليطاني لما وجدت صور وصيدا. فان بناتها اختاروا مصب هذين النهرين لما كانوا ينتظرونه منها من العوائد التجارية وهو الامر الذي جعل لهاتين الحاضرتين شأناً تجارياً لم تبانه بيروت رجيل لخلوها من نهرين يجديانها من المنافع ما احرزته صيدا وصور بنهر يها (ستأتي البقية)

(١) راجع المجلة ذاتها (ج ١٠ ص ٢١٠ و ج ٢١ ص ١١٦)

(٢) راجع Quatremère : Sultans Mamlouks, I, 1^{re} partie, p. 145